تربية إسلامية

تعزيز اليقين في نفوس الناشئين

عمر بن محمد شفيق
الجامعة السلفية، بنارس

إن الإيمان أغلى ما يملكه العبد المؤمن، هو رأس ماله، وبه عصمته ونجاته، وضعفه يؤدي إلى تسلط الشيطان وهيمنته، فحري بالمؤمن أن يحرسه، ويجتنب كل ما يضاده ويخالفه، ليفوز بالنعيم المقيم يوم لقاء رب العالمين.

وإن من المؤسف جدا ما نراه من انتشار الشبهات حول الأصول الدينية والثوابت الشرعية في وسائل التواصل الاجتماعي، ومواقع الإنترنت، ووسائل الإعلام المختلفة في شتى أنحاء العالم، وليس هذا بدعا من الفعل، فقد اجتمع أهل الشرك والإلحاد منذ مبعث محمد صلى الله عليه وسلم على محاربة الإسلام، ومحاولة مسخه، وتشويه صورته، ولو حورب دين من الأديان أو اتجاه من الاتجاهات كما حورب الإسلام لفني وانتهى ولم يبق له أثر.

ولهذه الأسباب وغيرها يتأكد على كل مسلم يريد الحفاظ على دينه، والوقاية من الشبهات: أن يعزز اليقين في قلبه، ويحسن علاقته بربه.

وتعزيز اليقين بأصول الإسلام، ورد شبهات المعاندين والملحدين من أعظم ما يتحصن به المرء لمواجهة الأفكار المنحرفة والعقائد الفاسدة ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه الشبهات والشكوك سببا للابتلاء والاختبار، يظهر فيها المؤمن الصادق

من غيره، ويرتفع مقامه عند ربه بثباته على الحق واستقامته ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١] ، وهذه سنة الله في خلقه، فإنه يبتليهم بأنواع الفتن، ليميز بين الصادق والكاذب، وبين المؤمن والمنافق ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢-٣] .

وقد كان السلف الصالح يعتنون باليقين عناية بالغة، ويهتمون بتعزيزه وتقويته، لعلمهم بضعف النفوس البشرية، حتى إن إمام الأنبياء والموحدين إبراهيم -عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام- طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، والسبب في ذلك (ليطمئن قلبي) [البقرة ١٦٠]، فنحن من باب أولى يتأكد علينا أن نهتم بهذا الجانب، لاسيما في مثل هذا الزمان، الذي انتشرت فيه الشبهات والشكوك حول الدين، وتيسر الاطلاع عليها في جميع الأوقات، بل قد تصل إلينا من غير قصد ولا بحث، والله المستعان.

ويتأكد الاهتمام بتعزيز اليقين إذا علمنا بتخطيط أعداء الإسلام، وما يقومون به من حرب باردة على الإسلام والمسلمين، من خلال بث الأفكار المنحرفة، ونشر الشبهات حول الدين الحنيف، ومحاولة مسخ الهوية الإسلامية من نفوس الناشئين، ونشر ثقافة أجنبية بعيدة عن الدين كل البعد.

ولا يمكن للأمة أن تنهض مع فقدان اليقين أو ضعفه، فإن اليقين أقوى ما تتسلح به الأمة، وإذا فقدت الأمة حميتها لدينها، ويقينَها به فلأي شيء تنهض، وعلى أي أساس تقوم؟

وقد صار حال كثير من الناس اليوم كما وصف الله تعالى في كتابه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ

ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١] ، لا يعبد الله عن قناعة وإيمان، وإنما يعبده إذا تحققت مصالحه وأمانيه، لا يعبده حبا له وطمعا في ثوابه، ولا يطيعه خوفا منه ومن عقابه، وما نتج هذا إلا بسبب ضعف اليقين في القلوب.

وفي ظل هذه الفوضى الفكرية، وانتشار الشبهات لا يدع الله سبحانه وتعالى عباده بدون أسباب للنجاة وسبل للهداية، فقد أودع الله في خلقه من الآيات والبراهين ما فيه كفاية لملتمس الهدى وطالب الحق، ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

إن أعداء الإسلام يحاولون تشكيك المسلمين في أصول عقيدتهم، فيبثون الشبهات حول وجود الحق سبحانه وتعالى، ونبوة الصادق الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، وصحة كتاب الله المعجز، مع أن الأدلة على هذه الأصول واضحة لمن تأملها وضوح الشمس في رابعة النهار، ويسعون في بث الشبهات حول تعاليم الشريعة المطهرة وأحكامها، لا سيما أحكام الحدود والجهاد، من غير تأمل في حِكمها ومصالحها، وما يترتب على تركها من مفاسد ومخاطر، ولو تأمل متأمل لتبين له أنه لا يوجد في حكم واحد من أحكام الشريعة الإسلامية شيء من عبث أو جور وظلم، بل الشريعة كلها مبنية على مصالح العباد ومنافعهم جملة وتفصيلا.

ولو تأملنا في محاسن الإسلام ومزاياه لوجدناها تفوق العد والحصر، ومعرفتها تعين على تعزيز اليقين، وأعظم محاسن هذا الدين: عقيدة التوحيد، تلك العقيدة الصافية التي تبعث في العبد روح الأمل، وتبعثه على النشاط والعمل، وتملأ قلبه نورا، وتخلصه من عبودية الشيطان والنفس والهوى، وتجعل الإنسان مطمئن النفس ناعم البال، لا يخاف إلا الله، ولا يرجو إلا إياه، وفيها لذة تفوق جميع اللذات،

من ذاقها ولو لحظة من عمره كره ما يضادها أشد الكراهية، وحمد ربه على هدايته له إليها.

ومن محاسن هذا الدين الحنيف التي لا تكاد تجدها عند أمة من الأمم: إكرام الميت، ولو طالع أحد ما ورد في هذا الباب من الأحاديث النبوية لأورثه ذلك عجبا ودهشة، فقد اهتم الإسلام بطهارة الميت، وستر عورته، وأمر بدفنه بعد تكفينه والصلاة عليه، ونهى عن إيذاء الميت، وحث المسلمين على المشاركة في الجنائز ورغب في ذلك، ونهى عن الجلوس على القبور، ولا تستطيع جمعيات حقوق الإنسان كلها أن تأتي بمثل هذه الأحكام ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا.

ومن وسائل تعزيز اليقين: معرفة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، تلك السيرة المليئة بالمكارم والفضائل والأخلاق الحميدة والخصال الحسنة، وقراءتها بعين التأمل والاعتبار يزيد في الإيمان ويعزز اليقين، فكم من رجال أسلموا بعد مطالعة سيرته العطرة، أو أُعجبوا بسيرته ودهشوا، كانوا من ألد أعدائه فأصبحوا من أكبر أنصاره، كانوا يبغضونه أشد البغض فأصبحوا بعد معرفة سيرته يحبونه أشد الحب، فاللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون.

ومن أعظم وسائله: التدبر في آيات الله الشرعية، فإن الله جل وعلا أنزل كتابه ليكون هداية ورشادا، ففيه البراهين الساطعة والدلائل الواضحة على أصول الإسلام وثوابته، وفيه الرد على شبهات الجاحدين والمعاندين، منها على سبيل المثال: قول الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] ، فقد ذكر الله سبحانه وتعالى احتمالين لخلق الإنسان، إما أن يُخلق من غير خالق، أو يخلق نفسه، وكلاهما باطل قطعا، فالعدم لا يخلق شيئا، والمخلوق لا

يمكن أن يكون خالق نفسه، فتعين وجود خالق عليم خبير، وهو الله سبحانه وتعالى، الذي خلق المخلوقات كلها، وأنشأها بعد أن لم تكن شيئا مذكورا.

ومن وسائله المهمة أيضا: التفكر في آيات الله الكونية، فكلما زاد التفكر في خلق الله زاد اليقين، وقد أوضح الله جل وعلا علاقة التفكر بزيادة اليقين في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١] ، فهؤلاء استدلوا بخلق السماوات والأرض على نفي العبثية، وإثبات الجزاء والحساب والجنة والنار.

ولو تأملنا في الإتقان والإحكام في هذا العالم لعلمنا علم يقين أنه لا يمكن أن يوجد لولا أن خالقا حكيما عليما لطيفا صنعه وسواه ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨] ، وهذه العناية التامة والتدبير العجيب في هذا الكون يؤدي بالضرورة إلى الإيمان بوجود الله، ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ، وقد سئل أعرابي عن دليل وجود الله، فقال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير ... فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج ... ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير؟!

***